الرواية . ولم أحاول الإثبات أو النفي – وإنما عرضت وجهات النظر النقدية من خلال كاتبين " ناقدين " – يشار إليهم بالبنان فى علم المسرحية . ثم استعرضت جهود مجدي جعفر وكيف استفاد؟ أو كيف تمت له عملية التوظيف – على المستوي الموضوعي والفني ؟

خامسا : **الخاتمة**

سادسا : **المصادر والمراجع**

ما قبل الكلام

١- الرواية في الأدب العربي

٢- الرواية ووظيفتها الإنسانية والاجتماعية

٣- أهمية الرواية بالنسبة للمجتمع

١- الرواية فى الأدب العربي .

عرف الأدب العربي منذ القدم ، القص بمعناه المتعارف عليه ، ولا يستطيع أحد أن ينكر وجود القصص والأساطير والخرافات ، التى كانت شائعة قديما ، بل إن العربي ارتبط فى واقعه الاجتماعي والتاريخي ، بما يؤيد هذا الاتجاه ، فضلا عن أن الأمم فى أطوارها المختلفة لا تنس أيامها ووقائعها المعروفة بينها ، فهى جزء منها ومن تاريخها .

وبالعودة إلى تاريخ العرب يلاحظ أن العربي القديم . كان يهتم بحفظ وقائعه ، ومآثره وحروبه ومفاخره ، ويردد ذلك في الأندية والمحافل المختلفة ، فكانت تنسج القصص بمختلف موضوعاتها واتجاهاتها ، فهناك الخرافة والأسطورة والموعظة ، والقصص الحربية التى يمتدح فيها الأبطال المنتصرين ، ويذم فيها المنهزمين .

من ذلك يتضح أن للعرب القدامي " قصص واقعي ، يتمثل فى أيام العرب ، ويدور حول وقائعهم الحربية .. وكان لهم قصص عاطفي ، كالذي ذكروا بين المنخل اليشكري والمتجردة زوج النعمان بن المنذر ، أو كالذي كان بين المرقش الأكبر وصاحبته أسماء بنت عوف[١]

وهناك قصص آخر أخذه العرب عن غيرهم ، وصاغوه فى أسلوب يتفق مع أذواقهم ، " وكان النضر بن الحارث في مكة ، وهو طبيب ومثقف ورحالة ، وكثير الذهاب إلى بلاد فارس والحيرة ، يعارض النبي صلي الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، إذا جلس الرسول مجلسا فذكر بالله ، وحذر قومه مما أصاب غيرهم من الأمم ، خلفه بمجلسه وقال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلموا إلي ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ، وقصة رستم واسقنديار ، وكان على النضر أن يدفع ثمن

---

[١] - القصة القصيرة دراسات ومختارات ــ د/ الطاهر مكى صـ١٨

ذلك يوم موقعة بدر ، بعد انتصار المسلمين ، فكان أحد اثنين أمر النبي عليه السلام بقتلهما ، لم يعف عنهما ، ولم يقبل فيهما فداء "([2])

ثم جاء الإسلام ، ونزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاءت القصة التى تخبر عن أحوال الأمم السابقة ، وتهدف إلى توحيد الله عز وجل ، وأخذ العظة والعبرة من السابقين ، والإيمان بالقضاء والقدر ، والجدير بالذكر ، أن القصة القرآنية ، اشتملت على جميع العناصر الفنية ، فهناك الأشخاص بمختلف مستوياتها البطولية ، والمحورية ، والثانوية ، والهامشية ، وهناك الأحداث الأساسية والجزئية ، وما يتفرع عنهما ، وهناك عنصري الزمان والمكان . وهناك عناصر أخري فى القصة القرآنية ، لجأت إليها القصة الحديثة ، مثل

الحلم ، وتوظيفه توظيفا دراميا ، يكشف عن تطور الحدث والصراع ، ووجد ذلك فى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، حينما رأي في المنام أنه يذبح ولده ، وأيضا رؤيا يوسف عليه السلام " إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " ([3])

فضلا عن الوعاء الذى جاءت فيه القصة القرآنية ، متمثلا في اللغة المشرقة ، فى ذروتها العالية ، حيث تعلو وتتعدد مستوياتها العالية ، بالإضافة إلى الحوار الأمثل ، الذى يكشف عن اتجاهات الشخصية ، وابعادها المختلفة ، ومن ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقصة سيدنا محمد مع قومه ، وقصة امرأة فرعون ، وأخبار الأمم السابقة مثل عاد وثمود ومدين وغيرهم .

---

[2] - السابق صـ١٩-٢٠

[3] – سورة يوسف آية –٤–

ومن المؤكد أن القصة المعروفة لنا بكل عناصرها الفنية الحديثة ووسائلها المختلفة ، قد وجدت فى القرآن ، ولو أن العرب اهتموا بها وانشغلوا بدراستها ، لكان لهم فضل السبق فى إيجاد القصص الفنى المتكامل ، لكنهم صبوا اهتمامهم بالشعر والقريض ، فبلغوا فيه مبلغا عظيما .

وجاء العصر العباسي ، ومعه تحولات كبيرة على الصعيدين الفكري والعلمى ، حيث اتسعت رقعة الدولة ، وبسطت سلطانها على معظم أرجاء الأرض ، فكان الإطلاع على الثقافات الأخرى والاستفادة منها ، ثم النقل والترجمة . ومن الكتب المترجمة التى تقترب من القصة بشكل عام . كتاب كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة .

وكليلة ودمنة من جنس القصص على لسان الحيوان أو الخرافة ، ويمكن أن يقال إجمالا ، إنها كانت ، إما فطرية أسطورية ، تشرح ما سار بين الناس من أمثال ، وإما مأخوذة من كتب العهد القديم ، وما عدا هذين فمتأخر عن كليلة ودمنة ومتأثر به ، كما فى بعض قصص الجاحظ في الحيوان ، ولكن كتاب كليلة ودمنة ، ذو طابع خلقي وفني انفرد به ، ولذا كان سببا فى خلق جنس أدبي جديد ، فى اللغة العربية ، قصد فيه إلى تعليم الملوك كيف يحكمون ، والرعية كيف يطيعون " ([٤])

ولا يخفى ما لهذا الأثر الكبير ، من تأثير واضح على الأدب العربي .

وكذلك قصص ألف ليلة وليلة :

وهى تشبه فى أصلها كتاب " كليلة ودمنة " ، لأنها ترجع إلى فارسي يسمى هزارفسانه ، وهذا الأخير متأثر فى أصلة ، وقالبه العام ، بالقصص الهندي ، كما تدل على ذلك طريقة التقديم لكثير من القصص بالتساؤل على نحو ما فى كليلة ودمنة ، ثم تداخل القصص فى كلا الكتابين ، إذ أن كل قصة رئيسية تحوى قصصا عديدة ، وكل قصة

---

[٤]- النقد الأدبي الحديث ــ د / محمد غنيمي هلال صـ٤٩٣- ٤٩٤

من هذه القصص الفرعية قد تحتوي على قصة أو أكثر متفرعة منها كذلك ، ويتبع ذلك دخول شخصيات جديدة ، إذا كانت القصة لأشخاص من الناس ، أو دخول حيوانات كذلك ، بدون انقطاع ولأدني مناسبة " ([٥])

يأتي بعد ذلك ، من القصص العربية القديمة التى تؤكد وجود فن القصة فى التراث العربي " المقامات " وغيرها مثل " رسالة الغفران " لأبي العلاء المعري ، " وحى بن يقظان " لابن طفيل .([٦])

والمقامات : قصص قصيرة تصور مغامرات أديب متسول يخلب سامعيه بحضور بديهته وبلاغة عباراته ، وفي الحق أن بديع الزمان ، مخترعها ومن جاءوا بعده مثل الحريري لم يفكروا فى صنع قصة حقيقية أو أقصوصة ، إنما فكروا في غرض تعليمي ، هو جمع طوائف من الأساليب المنمقة الموشاة بزخرف السجع والبديع ". ([٧])

ويعلق أحد النقاد على مقامات بديع الزمان ، وموقعها من مراحل تطور القصة الفنية ، وارتباطها بالمجتمع ، يقول : بدأت بذور القصة الفنية التي تدرس المجتمع ، وتحلل الشخصية وتهتم بالتصميم الفني ، والفكرة الموحدة ، فشخصية " أبي الفتح الاسكندراني " ، تعني من مراحل تطور القصة العربية نفس المرحلة – شخصية " سيروردجر يكفري " من تطور القصة الإنجليزية " ([٨])

ومهما يكن من توسلات نقدية ، وجهت إلى التراث العربي القصص ، فإن ألف ليلة وليلة ، ومقامات بديع الزمان ، وغيرهما من القصص والحكايات التى وصلت إلينا ، حاول فيها أصحابها تصوير الواقع العربي ، فى شتي صوره المختلفة ، وحاولوا تصوير حالة الإنسان

---

[٥] النقد الأدبي الحديث – د / محمد غنيمي هلال صـ٤٩٤

[٦] السابق صـ٤٩٦- ٤٩٧

[٧] الأدب العربي المعاصر . د/ شوقى ضيف صـ٢٠٨

[٨] مجلة الرسالة عدد نيسان أبريل سنه ١٩٣٧صـ٦٥١

العربي واتجاهاته الأدبية والاجتماعية والأخلاقية وموقفه تجاه عصره ، ولا يخفى أن هذا التراث الثقافي القصصي قد ساهم بشكل أو بآخر مباشر أو غير مباشر ، في دعم التيار القصصي الروائي .عند أدباء كثيرين منذ مطلع فجر النهضة – أمثال المويلحي وحافظ إبراهيم – والشدياق واليازجى ، ولا يخفي أيضا أن المقامات ، كان لها الأثر المباشر وراء دفع القصة القصيرة فى مصر والعالم العربي خطوات إلى الأمام ، لما بينهما من تشابه كبير فنيا وموضوعيا ، وفي العصور الوسطي كان هناك ، " قصصا شعبيا ، ولكن لم يكن لنا قصص فصيح ، ولما اتصلنا بأوربا ، وأخذنا نتأثر بآدابها اتجه أدباؤنا إلى القصص الغربي ، وحاولوا أن يترجموه ، وكان رفاعة الطهطاوي هو الرائد لهذه الحركة ، فترجم مغامرات تليماك " لفنلون " ، وسماها مواقع الأفلاك في وقائع تليماك " (٩)

وفي مرحلة أخري من مراحل التطور الاجتماعي على مستوي الفن الروائي ، كانت محاولات رفاعة الطهطاوي في كتابيه " تلخيص الإبريز " و " وقائع تليماك " بداية مرحلة جديدة في الرواية العربية يقول د / عبد المحسن طه بدر " يعتبر رفاعة رافع الطهطاوي أول من وضع البذور الأولي لنشأة الرواية التعليمية ، في كتابه المؤلف " تلخيص الإبريز " وفي روايته المترجمة " مغامرات تليماك " – ويعطي الناقد الأهمية الأولي لوقائع تليماك . كعلامة واضحة كان لها الأثر المباشر في نشأة الرواية التعليمية ، يقول :

نحن مدينون لرفاعة فيما يتصل بنشأة الرواية التعليمية ، براويته المترجمة – وقائع تليماك – أكثر مما ندين له ، فى كتاب تلخيص الإبريز ، وتعد وقائع تليماك أول مظهر من مظاهر النشاط الروائي ، في مصر في القرن التاسع عشر ، والهدف

---

٩ - تطور الرواية العربية الحديثة د / عبد المحسن طه بدر صـ٥٨

التعليمي واضح من المقدمة التى كتبها رفاعة للرواية المترجمة ، وسماها ديباجة الكاتب " ([10])

وقد أمتد هذا التيار التعليمي ، في هذه الفترة ، عند على مبارك ، فى روايته علم الدين ، وأخذ فى التطور على يد محمد المويلحى ، وحافظ إبراهيم ، وغيرهم من الكتاب ، الذين عنوا بمثل هذا النوع الروائي ، وجاء هذا التطور ، متضمنا الهدف من وراء الجنس الروائي ، في مجال الإصلاح والتهذيب والتعليم ، وبذلك اختلفت طبيعة الرواية التعليمية في القرن العشرين عنها في القرن التاسع عشر ، وبعد أن كانت الرواية التعليمية تتجه إلى تعليم علوم الغرب ، أصبحت وظيفتها منصبة على الإصلاح الاجتماعي ، بتوجيه النقد إلي بعض المظاهر الاجتماعية الغربية التى انتقلت إلي مجتمعنا " ([11])

وقد ظهر ذلك في حديث عيسي بن هشام ، وليالي سطيح ، وغيرها من الأعمال ، وهى لا تبعد عن التراث كثيرا ، فحينما كتب محمد المويلحي ، حديث عيسي بن هشام ، كان يهدف إلى نقد المجتمع ، وتصوير ما فيه من سلبيات ، فآثر " أن تكون على نمط مقامات بديع الزمان الهمذاني ، والحريري ، ينقد فيها ما رأي في زمنه ، وما حوله من ضعف أو خلل أو فساد ، فكانت صوره عن الشرطة والنيابة والمحامى الأهلي ، والمحامي الشرعي ، والطب والأطباء ، والمحاكم ، والأعيان ، والتجار ، وأرباب الوظائف ، والعمدة ، والمدنية الغربية وغيرها " ([12])

وكما أن المجتمع المصري الحديث واضحا في حديث عيسي بن هشام ، فإن الصلة بالتراث واضحة ، من حيث الأحداث ، والشكل الفني التى وردت فيه " فهو في

---

[10] - السابق صـ٦٣

[11] - السابق صـ٧٣

[12] القصة القصيرة دراسات ومختارات ــ د/ الطاهر مكي صـ٨٦

تسميته يقترب من الشكل الاصلاحى للمقامة ، التى كانت قريبة في معناها من كلمة حديث ، ثم إنه اختار أن يكون الحديث لعيسي بن هشام وهو بطل مقامات بديع الزمان الهمذاني " ([١٣])

وتستمر مسيرة العمل الروائي ، مارة بدروب واتجاهات متعددة ، ما بين جمود وتطور ، وإطلاع على الفكر الغربي ، ومحاولة تقليده ، أو محاولة النقل عنه ، والتأثر به ، فظهرت

رواية التسلية ، ورواية التاريخ ، أي الرواية التاريخية ، التى تعتمد في اقتباس أحداثها وأشخاصها من كتب التاريخ ، ومن ذلك رواية زينوبيا ، لسليم البستاني ، وحضارة الإسلام في دار السلام ، لجميل نخلة المدور ، ثم ظهور الاتجاه التاريخي الواضح في روايات جرجي زيدان ، وإن كان مقرونا بنوع من التسلية ، التى حرص عليها ، خاصة وأنه يريد جذب القراء ، إلي مجلته الهلال ، فعمد إلي ،" أن يعلمهم التاريخ بالوسيلة التى تروقهم ، وذلك بأن يقدم لهم التاريخ من ناحية والقصة الغرامية ، التى تسليهم ، وتجذبهم إلي قراءة التاريخ من ناحية أخري ، وبذلك حاول جرجي زيدان أن يجمع بين التسلية وبين التعليم ، فهو لم يتجه إلى التعليم الخاص ، كما اتجه أصحاب التيار الأول ، الذين تحدثنا عنهم ، ولم يتجه إلى التسلية ، كما اتجه كثير من الكتاب ، بل وقف في مركز متوسط بين الفريقين " ([١٤])

واستمر هذا التيار ، وتأثر به من جاء بعده ، ويظهر ذلك في روايات عشق المرحوم مصطفي كامل وأسماء عشيقاته ، ورواية الدمع المدرار في المصائب والمضار " ([١٥]) ورواية سعاد لعبد الحليم العسكري ، ([١٦])

---

[١٣] - تطور الرواية العربية الحديثة د / عبد المحسن طه بدر صـ٧٣

[١٤] - السابق صـ٩٨

[١٥] - ذكر د/ عبد المحسن طه بدر أسماء هذه الروايات وأشار إلي أنها مجهولة المؤلف صـ١١٦-١١٨

[١٦] - السابق صـ١١٤-١١٦

وتنتقل الرواية ، في العقد الثاني من القرن الماضي ، إلى مرحلة متقدمة ، من الناحية الفنية والموضوعية حيث اكتملت فيها ، عناصر البناء الفني للرواية ، أسلوبا ، وأشخاصا ، وأحداثا ، وموضوعا وغدت الرواية فنا ، يقبل عليه الخاصة والعامة ، فقد تنوعت اتجاهاته ، فأصبحت هناك ، الرواية الاجتماعية ، والتاريخية ، والدينية ، إلي غير ذلك من الأنواع الروائية .

واتفق مؤرخو الأدب ، على أن الرواية الأولي ، التي تحمل ملامح فنية وموضوعية واضحة ، هي رواية " زينب " للدكتور / محمد حسين هيكل ، حيث كانت محاكاة للواقع الاجتماعي وتصويره ونقده ، وبرزت فيها العناصر الفنية واضحة ، (الأشخاص – اللغة – الحوار – الأحداث – الزمان والمكان) .

وعن مظاهر نمو الرواية وتطورها يقول د . أحمد هيكل :

وقد تمثل نمو الرواية الفنية ، خلال هذه الفترة ، في وفرة الأعمال الروائية ، وتعدد ألوانها ، حتى كانت كالشجرة ، ذات الفروع العديدة ، والأزهار المختلفة الألوان ، كما تمثل نضج الرواية الفنية ، خلال هذه الفترة ، في مراعاة الأصول الفنية المقررة ، وتحقيق العناصر الروائية الصحيحة ، ثم تمثلت قوة الرواية الفنية ، في مؤازرة بعض الكتاب الكبار ، وتقديمهم محاولات ناجحة ، في ميدانها " ([١٧])

ولم يقتصر النمو التدريجي للفن الروائي ، على الحبكة الفنية ، بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلك ، فعلى الصعيد الموضوعي ، نلحظ التعدد الواضح ، من حيث الاعتماد على البطل ، أو مجموعة الأبطال ، وتحليل الدوافع الخارجية والداخلية ، وما يعتمل في نفوس هؤلاء ، الأشخاص علي صفحات الرواية ، ووجدت الموضوعات ، التى تتمثل فيها التجارب الذاتية لكتابها ، مثل الأيام ، لطه حسين ، كذلك وجد اللون

[١٧] - الأدب القصصي والمسرحي في مصر د. أحمد هيكل صـ١١١

الروائي الذي يعتمد على الفلسفة العقلية ، كما في رواية توفيق الحكيم عودة الروح ، إلي آخر ذلك من الأنماط الاجتماعية ، والتاريخية ، والدينية .

ومما لا شك فيه أن الرواية ببلوغها هذه المرحلة ، قد استطاعت أن تستلهم الواقع الاجتماعي . وتعبر عن أمانيه وتطلعاته ، وتعالج مشكلاته المتعددة ، وتنقد الظواهر والعادات السلبية .

ومن الناحية النقدية فقد صنفت روايات هذه المرحلة ، من بداية العقد الثاني من القرن الماضي إلي :

١- الرواية التحليلية :

" وهي التي يبرز فيها جانب التحليل النفسي ، حتى يكاد يطغي على بقية عناصر الرواية ، كالأحداث والشخصيات والحوار ، وغير ذلك من المقومات الفنية ، التي تأتي في المكان

الثاني أو ما دون الثاني ، حيث يتصور جانب التحليل النفسي للبطل ، وحشد كل ما يمكن من هذا التحليل ويعين عليه من معرفة ماضي هذا البطل وبيئته ، وما تكون لديه من عقد ، أو ما ضج به عالمه النفسي من صراعات ، ([١٨]) ويمثل هذا اللون باتفاق النقاد والباحثين رواية " ثريا " لعيسي عبيد ورجب أفندي لمحمود تيمور ، وأديب لطه حسين .

٢- رواية التجربة الذاتية أو الترجمة الذاتية :

وفي هذا النوع يتخذ الأديب من حياته ؛ وما صادفه مادة أدبية ، يصيغها في قالب روائي معتمدا على العناصر الأساسية للفن الروائي ، ويكون فيها الفرق واضحا ، بين الترجمة الذاتية والتجربة الشخصية من حيث " اختيار الأحداث ، اختيارا فنيا صالحا

---

[١٨] - السابق صـ١٤٩- ١٥٠

للتأليف الروائي ، وعدم حشد تلك الأحداث كأنها تاريخ يدون ، بل عرضها كعناصر روائية تنمو وتتطور ، لكي تصل إلى نهاية معينة ، وذلك بتدخل المؤلف في ترتيبها ترتيبا ، يحقق الفنية القصصية ، وعدم الاكتفاء بإيرادها حسب وقوعها الزمني "([19])

ويمثل هذا النوع إبراهيم الكاتب – للمازني ، وسارة للعقاد ، وعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم ، ونداء المجهول لمحمود تيمور .

١- رواية الطبقة الاجتماعية :

ويعني بها الرواية الاجتماعية ، التي تهتم بقضايا المجتمع ، من فقر وعادات سلبية ، يحاول الكاتب علاجها ، وتقديم الحلول الناجعة لها ، ويعتمد في ذلك على جعل الأحداث والشخصيات محل اهتمامه ، والتغلغل داخل الطبقات المختلفة المتعددة ، وتصوير كل التناقضات وتقديمها ، واقتراح الحلول لعلاجها ، أو إظهارها في صورتها الحقيقية مقرونة بالنقيض دون أن يشعر القارئ بأنه يقدم الحلول السهلة في هذا الشأن ، ويمثل هذا النوع حواء بلا آدم . لمحمود طاهر لاشين ، ودعاء الكروان لطه حسين ." ([20])

٢- الرواية الذهنية : ([21])

ويقصد بها الرواية التي يقدم بها المؤلف فكرة ذهنية ، يؤمن بها ، ويريد أن يؤمن بها الآخرون ، فيعبر عنها في قالب روائي ، تكون هذه الفكرة الذهنية هي مغزاه ومضمونه أو الهدف الرئيسي الذي تشير إليه .

وهذه الفكرة الذهنية ، قد تكون فلسفية وجودية ، أو فكرة دينية ، أو واقعية ، اجتماعية ، وقد تكون نفسية اجتماعية ، وأيضا قد تكون مذهبا اعتنقه الأديب ،

---

[19] - الأدب القصصي والمسرحي في مصر د. أحمد هيكل صـ١٤٩- ١٥٠

[20] انظر في ذلك الترتيب - الأدب القصصي والمسرحي في مصر د. أحمد هيكل صـ١٥٠وما بعدها .

[21] - السابق صـ٢٢٨

ويحاول إرساء قواعده ، أو توصيله للآخرين عن طريق الرواية ، ويمثلها رواية ، عودة الروح لتوفيق الحكيم ، رغم اختلاف النقاد في تصنيف هذه الرواية – إلا أنها تمثل الاتجاه الذهني يقول د. أحمد هيكل : يبرز الخيط الذهني الذي يطغي علي بقية الخيوط حتى يكاد يخفيها ، ولذا كان طابعها الواضح هو الطابع الذهني ، الذي يوشك أن يخفي كل ما سواه . ([٢٢])

ومن الذين صنفوها ، ضمن رواية الترجمة الذاتية ، د. عبد المحسن طه بدر يقول : في عودة الروح لتوفيق الحكيم تلتقي بأنجح المحاولات ، التي استغلت الترجمة الذاتية ، لتقدم لنا رواية فنية حققت قدرا كبيرا من النجاح " ([٢٣])

وقد أكد الناقد على ذلك حينما اعتبر عودة الروح ، وعصفور من الشرق ، ويوميات نائب في الأرياف ، سلسلة متصلة ، يستعرض فيها مراحل حياته المختلفة ([٢٤])

٣- الرواية التاريخية :

وهي التي تستلهم أحداثها من كتب التاريخ . وإما أن تقصد إلي تعليمه ، ويكون صبه في القالب الروائي ، لإساغته ، وتحسين عرضه ، وهذه هي الرواية التاريخية التعليمية ، وإما أن تقصد إلي إحياء الماضي وتمجيده ، ويكون عرض التاريخ في قالب روائي ، خدمة لهدف قومي ، أو تعبيرا عن إحساس وطني ، وهذه هي الرواية التاريخية القومية ([٢٥]) .

---

[٢٢] - السابق صـ٢٢٩

[٢٣] - تطور الرواية العربية الحديثة – د. عبد المحسن طه بدر صـ٣٧٦

[٢٤] - السابق صـ٣٨٣

[٢٥] - الأدب القصصي والمسرحي في مصر د. أحمد هيكل صـ٢٤٢

١- الرواية ووظيفتها الإنسانية والاجتماعية :

الرواية فن أدبي مستقل ، له خصوصيته ، وذاتيته ، إذ هو فن يتسع لدراسة العلاقات المتشابكة ، والمتشابهة داخل المجتمع ، فيفرز لنا النماذج البشرية ، في شكل نقبله ، إذا تمثلت فيه ، ملامح الخير ، والبطولة ، والدعوة إلي الإصلاح ، وشكل نحاول أن نتجنبه ، إذا بدا وكأنه رمز للتخلف والفساد ، والدعوة إلى الرذيلة ، على ذلك فالفن الروائي يجنح غالبا إلي التهذيب ، والإصلاح ، ويقدم العلاج الأمثل ، ويساعد في حل المشاكل الإنسانية والاجتماعية ، والأمراض الناتجة عن التردي ، في هوة التخلف والتقهقر الاجتماعي والأخلاقي .

والرواية ، علي الرغم من قربها ، واهتمام المفكرين ، والأدباء بها ، لم تحظ ، بتعريف محدد لها ، بل تعددت التعريفات وتباينت ، نتيجة لاختلاف الدارسين ، والنقاد في الزاوية التي ينظرون إليها عند تعريفها ، فكان منها ، ما ينطبق على اتجاهاتها الموضوعية ، ومنها ما ينطبق ، على الشكل الفني ، ومنها ما هو نتيجة تجارب ، خاضها الأديب أو الناقد ، لمحاولة التغلغل داخل أعماق النص الروائي .

يقول أرنست بيكر :" إن الرواية تفسير للحياة الإنسانية ، من خلال سرد قصصي نثري "([٢٦]) ويقول دوبرية : " هي ذلك الشكل الأدبي ، الذي يقوم مقام المرآة للمجتمع ، مادتها إنسان في المجتمع ، أحداثها نتيجة لصراع الفرد ، ضد الآخرين ، للملاءمة بينه وبين مجتمعه ، وينتج عن هذا الصراع ، خروج القارئ ، بفلسفة ما ، ورؤيا عن الإنسانية ." ([٢٧])

من خلال التعريفين السابقين ، نري أن الرواية ، فن أدبي له شكل مغاير للأشكال الأدبية الأخرى ، كذلك نجد الصلة ، وثيقة بينه وبين المجتمع ، هذه الصلة تبدو

---

٢٦ - بانو راما الرواية العربية الحديثة د . سيد حامد النساج ص١٥

٢٧ - بانو راما الرواية العربية الحديثة د . سيد حامد النساج ص١٥-١٦

واضحة في النماذج والأشخاص ، التي تحرك الأحداث ، وتقودها إلي الأمام ، ويكون بذلك مرآة المجتمع ، يهتم بصراع الفرد ، والجماعات ، ويكشف الأنماط الوجدانية المختلفة ، الكامنة داخل الشخصية ،

ويقول د. محمد غنيمي هلال : عن تعريف القصة وقد جعلها أكثر اتساعا ، وشمولية ، إذ تتضمن جوانب عديدة ، من الحياة والتجارب الإنسانية : " القصة كالحياة معقدة ، متعددة الجوانب ، ممتدة ، حية المعالم ، وقصد المؤلف فيها إلي حكاية الفشل أو النجاح ، أقل من قصده إلي عرض مناظر ، وتحليل شخصيات ، ترمي إلي هدف واحد ، يتصل بحال الإنسان ، في موقف خاص ، وما يحيط به من بؤس ، وبما منح من إرادة ، ويتكشف هذا كله ، عن فكرة كبيرة ، هي بيان موقف إنساني يكون فيه جهد الإنسان ذا معني " ([٢٨])

وبالنظر إلي هذا التعريف الشامل ، نجد أنه أولاً : لا يفرق بين القصة والرواية ، فيصف القصة بوصف الرواية ،وأنه ثانياً : يحدد ماهية الرواية ، بشكل أوضح وأعم ، فالقصة كالحياة معقدة ، أي أنها مرتبطة بمشاكل الحياة وأمورها ، فلا تستطيع أن تنعزل عن حياة الفرد والجماعة ، وكلمة معقدة يرمي بها إلي الشكل الفني المتعارف عليه في الرواية ، إذ هي لا تبدو رواية ، فنية متكاملة الجوانب ، إذا فقدت أحد عناصرها الفنية المعروفة والمتشابكة ، لذلك يشير الناقد إلى الصعوبات الكبيرة التي ؛ تواجه الأديب الروائي ، " عرض مناظر وتحليل شخصيات " فالكاتب يجنح أحيانا ، إلي التصوير الفني ، الذي يبرز روعة في توظيف الأسلوب ، وجذب القارئ وجعله مهتما بما يقول ، ويحتوي التعريف على ميزة كبيرة ، وهي أهمية الرواية ، وإظهار

---

٢٨ ـ النقد الأدبي الحديث ــ د. محمد غنيمي هلال صـ١٤

المواقف الإنسانية ، التي لها قيمة ومعني ، فالحق أن الرواية يجب ، أن تحتوي على قيمة اجتماعية ، أو فضيلة يحاول الكاتب إرساءها .

ويقول ا. م فورستر " في تعريف الرواية " الرواية هى الرواية ، لا أعرف ما الرواية ، لكنني أفترض أنها نوع من سرد الحكايات ، ويقول في إجابة أخري ، إنها سرد قصصي طبعا ، ويقول الرواية تروي قصة " ([٢٩])

ويقول الدكتور عبد الفتاح عثمان : في تعريف الرواية . الرواية ما هي إلا حكاية تروي عن الناس ، من حيث الأحداث التي تقع لهم ، وموقفهم من هذه الأحداث ، وتفسيرهم لها في صياغة فنية ، تقدم فيها المشاهد بطريقة متماسكة ، بحيث تنمو وتتآزر بمنطق السببية للوصول إلي الخاتمة " ([٣٠])

ويقول الدكتور محمد زغلول سلام : في تعريف الرواية :

الرواية يعالج فيها المؤلف موضوعا كاملاً ، أو أكثر زاخرا بحياة تامة واحدة ، أو أكثر ، فلا يفرغ القارئ منها إلا وقد ألم بحياة البطل ، أو الأبطال ، في مراحلهم المختلفة ، وميدان الرواية فسيح أمام القاص ، يستطيع فيه أن يكشف الستار ، عن حياة أبطاله ، ويجلو الحوادث مهما تستغرق من الوقت " ([٣١])

ويقول الدكتور محمد يوسف نجم في تعريفه للقصة بوجه عام :

القصة مجموعة من الأحدث يرويها الكاتب ، وهي تتناول حادثة واحدة ، أو حوادث عدة ، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة ، تتباين أساليبها وتصرفها في الحياة ، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض ، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثر والتأثير " ([٣٢])

---

٢٩ - أركان الرواية – ا. م فورستر ترجمة موسي عاصي صـ٢٣

٣٠ - بناء الرواية – دراسة في الرواية المصرية – د . عبد الفتاح عثمان صـ١٧

[٣١] - دراسات في القصة العربية الحديثة – أصولها – اتجاهاتها – أعلامها – د. محمد زغلول سلام صـ٥

[٣٢] - فن القصة – د . محمد يوسف نجم صـ٩

ويقول محمود تيمور : في تعريف القصة :

" القصة مرآة عصرها ، لفظا ومعني ، شكلا وموضوعا ، أو شكلا ومضمونا ، كذلك كانت ؛ وكذلك تكون ، فإن لم تكن كذلك ،فهي تزوير على الأدب عامة ، وعلى الفن خاصة ، بل هى كذلك تزوير على المجتمع ، الذي تتناوله ، إن سلمت أن تكون تزويرا على الإنسان بإطلاق " ([٣٣])

ويقول في موضع آخر : " والقصة لا تتوفر لها إنسانيتها ، بما فيها من روعة الأحداث ، وجمال الصور ، ولطف المحاورات ، ولكن لا تتوافر لها الإنسانية ، بأن يكون ذلك كله

صادقاً علي الطبع البشري ، دقيقا في تصوير النزعات ، حين تتأثر بما يجري ، وتؤثر فيما يكون " ([٣٤])

وبالنظر في التعريفات السابقة ، نجد أن الفن القصصي ، هو محاكاة الواقع وتفسيره ، عن طريق تقديم النماذج الاجتماعية ، في شكل أشخاص ، ومواقف وقضايا ، يبدو فيها التباين أو الاتفاق حسب الطبيعة البشرية ، مع الاعتماد على الأسلوب الملائم ، والصور الرقيقة ، والتشبيهات الجميلة ، التي تبرز الخير وجماله ، وتنفر من الشر وقبحه ، بالإضافة إلى ما نبه إليه الأديب محمود تيمور ، من ضرورة توفر عنصر الصدق ، وموافقة ذلك للطبع البشري ، وينبه إلي أن الفن الحقيقي هو الذي ، يهدف إلى تزكية الخير ، والتأكيد عليه ، يقول : والفن يرمي إلي الخير ، ولا يكون الفن فنا ، إلا إذا كان الخير وجهته ، والفنان لا يكون فنانا ، إلا إذا كان الخير وحي فنه وغايته " ([٣٥])

---

[٣٣] - القصة في الأدب العربي وبحوث أخري – محمود تيمور صـ١٩

[٣٤] - الأدب الهادف – محمود تيمور صـ١٧٠

[٣٥] - دراسات في القصة والمسرح – محمود تيمور – صـ٦ – مكتبة الآداب

ويلاحظ أن هؤلاء يمثلون أولئك الدارسين ، الذين أداروا ، تعريفاتهم حول المضمون أو المحتوي ، وهناك جماعة آخرون ، أداروا نظرهم حول الحجم ، فجعلوا منها الرواية ، والقصة الطويلة ، والقصة القصيرة ، والأقصوصة ، واصطنعوا لكل تعريفا مميزا ، وهناك من قصروا الرواية على القصة التاريخية ، وأطلقوا القصة بأنواعها علي غير التاريخية ، وهناك من أطلقوا الرواية على القصة الخيالية الأسطورية " ([٣٦])

٢- أهمية الرواية بالنسبة للمجتمع :

للرواية مهمة كبيرة في توجيه المجتمع ، بل إن بعض الأنواع الروائية ، نشأت في عصر اقتضي ضرورة وجوده ، من ذلك القصص التاريخي ، كما أشار إلى ذلك جملة كبيرة من النقاد ، الذين عزوا ظهور الجنس ، إلى حس قومي ووطني ، تطلبته أحوال البلاد يقول د . مراد عبد الرحمن مبروك :

" يعد العامل القومي أو الوطني ، من أهم العوامل ، التي دفعت الكتاب للعودة إلى تراثهم " ([٣٧]) ويذهب إلي أبعد من ذلك ، حيث يري أن نشأة الرواية الفنية في مصر استدعته ملابسات وطنية بالدرجة الأولي ، فيقول : إن نشأة الرواية الفنية في مصر ارتبطت بالوعي القومي المصري ." ([٣٨])

وعلى ذلك فإن النشأة الروائية لم تكن ، علي سبيل التسلية والترفيه ، على قدر ما كانت مقدرات الحياة والعصر في حاجة إلى زرع لبنات الوعي ، والتطلع إلى آفاق الحرية المطلقة ، وقد قامت الرواية على اختلاف اتجاهاتها الموضوعية ، بتحريك

---

[٣٦] - في الأدب العربي المعاصر – د. إبراهيم عوضين ط ١ سنة١٩٧٥ القسم الأول صـ١١٦ وما بعدها . وانظر كذلك دراسات في القصة العربية الحديثة صـ٥٦ وما بعدها ، والقصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى ١٩٢٠ صـ٧٣ وما بعدها . تطور فن القصة القصيرة في مصر ١٩١٠- ١٩٣٠ صـ٢١ وما بعدها ، والقصة في الأدب العربي – د . متولى البساطي صـ ٧٩ وما بعدها .

[٣٧] - العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر – دراسة نقدية (١٩١٤-١٩٨٦) مراد عبد الرحمن مبروك صـ٢٧

[٣٨] - السابق صـ٢٧

الضمير القومي وهي في سبيل ذلك ، قفزت على المستوي الفني ، إلى درجات مقبولة من الإشادة والتطوير .

ويذهب د. سيد حامد النساج ، إلى أن الرواية تقوم بدور تثقيفي وتعليمي فيقول :

إن الرواية تقدم للأذهان الوضعية ، الدراسات الاجتماعية ، التى يغذيها اليوم ، الاهتمام بما تقدمه البلدان النامية ، وتقدم للنفوس الحساسة ، ألعاب التحليل النفسي المرهفة والمخيفة ، كما تقدم للإنسان الباحث عن مصيره تساؤلا ، دائما عن الوضع البشري ، كما تقدم للجميع المتع الطفولية ، التى يثيرها عنصر القص والتشويق ، والحكاية المؤثرة والمغامرة ، وما شابه ذلك " ([٣٩])

ويتفق البعض على أن مهمة الرواية ، تتركز في أمور ، من أهمها أنها تدرس الإنسان وحياته ، بجانب عدم تخليها عن الناحية التعليمية والتهذيبية . يقول عيسي عبيد عن الهدف الأسمي للرواية " يجب أن يكون التحري عن الحياة وتصويرها بأمانة وإخلاص كما تبدو لنا ، وجمع كمية كبيرة من الملاحظات والمستندات الإنسانية ، بحيث تكون الرواية عبارة عن " دوسيه " يطلع فيه القارئ على تاريخ حياة إنسان ، أو صفحة من حياته ، ويجمل بالكاتب ، أن يدرس فيها أسرار ، الطبيعة البشرية وخفايا القلب الإنساني الغامض ، وذلك مع بعض التحفظ ، في إبداء حكمه وآرائه الشخصية ([٤٠]) ويستمر الكاتب ، في سرد الأهمية الروائية ، مؤكدا على ضرورة التغلغل في أعماق النفس البشرية ، وكشف ما بها من غموض ، في صورة فنية راقية .

وعند سيد قطب : " القصة هي التعبير عن الحياة " ([٤١]) وهنا تأكيد على معان ، ومضامين ووظائف قصصية وروائية ، متسعة الاتجاهات ، فإذا كانت القصة تعبير

---

[٣٩] - بانو راما الرواية العربية الحديثة – د . سيد هامد النساج صـ١٧

[٤٠] - مقدمة إحسان هانم – عيسي عبيد صـ ج – الدار القومية للطباعة والنشر .

[٤١] - النقد الأدبي الحديث أصوله ومناهجه – سيد قطب صـ٧٥

عن الحياة ، فهي إذن أعم الفنون وأكثرها شمولية ، لملابسات وإشكاليات الحياة ، بكل أنواعها المتعددة والمعقدة ، وكاتبها يستطيع أن يستوعب أكبر الأحداث والشخصيات والأماكن والأزمنة ، ليقدمها لنا في صورة تعبيرية تهذيبية أخلاقية ، بقصد الإصلاح الاجتماعي ، ودفع المجتمع من خلال الفن الصادق .

وعند جماعة الديوان " العقاد ، شكري ، المازني " نجد أن المهمة الوظيفية للرواية عندهم ، قد ارتبطت بمقاييس مذهبهم الجديد في الشعر والفن على حد سواء ، إذ هي مهمة ترتبط بتصوير جوهر النفس البشرية ، كما جاء في مقدمة الديوان " وأقرب ما تميز به مذهبنا أنه مذهب إنساني مصري ، عربي إنساني ، لأنه من ناحية يترجم عن طبع الإنسان ، خالصا من تقاليد الصناعة المشوهة ، ولأنه من ناحية أخري ثمرة لقاح القرائح الإنسانية عامة ، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة "([٤٢])

وفي نظر إبراهيم المازني ، أن الرواية تصور جانبا أو جوانب من الحياة ، بخلقها عوالم ، تصور فيها النفوس البشرية ، فهي تعالج أو تصور النفوس البشرية ، وتلتمس ما وراء الأحاسيس والنبضات من معان وقيم ، تتضح للذهن المتيقظ ، وتتكشف للعين البصيرة النفاذة ."([٤٣])

ويرمي المازني بالمسؤولية الكبرى على الروائي ، في قدرته على التصوير ، فيقول : وما الحياة إلا رواية كبري ، ومهمة الروائي أن يجعلنا نطالع منها كلمات أو سطورا ، من فصولها الضخمة فليست مهمة الرواية محض حادثة تروي ، بل تصوير الحياة ، في ناحية أو أكثر من نواحيها . وهذا يتطلب خبرة بها وفهما لها ، أو فطنة تغني عن

---

[٤٢] - الديوان في الأدب والنقد – العقاد – المازني صـ٨

[٤٣] - نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر – د . أحمد إبراهيم الهواري صـ١٣٧- دار المعارف .

التجربة ، والمعاناة ، والخبرة وحدها لا تكفي ، بل لابد إلى جانبها من القدرة على الأداء ، وتلك ملكة أخري مستقلة "([٤٤])

ونستطيع أن نتوصل إلى نتيجة هامة من خلال ما سبق ، وهي أن مهمة الرواية ، ووظيفتها بالنسبة للمجتمع ، عند جماعة الديوان ، لا تختلف عن مهمة الشعر عندهم كثيرا ، وهو في نظرهم تعبير عن الوجدان في أسمي معانيه ، والرواية كذلك عندهم تعبير عن الإنسان والحياة ، إذ يجب أن يضع الروائي نصب عينيه ، الإنسان ومعاناته ، ومكابداته في معترك الحياة ، شقاؤه ، وسروره ، حزنه وفرحه .

وعند يحيي حقي ، ترتبط الوظيفة الروائية بالإنسان ووجوده ، وتهتم به وبعلاقاته ، ومشاكله في الحياة بشكل عام . يقول : لم تعد الرواية تقصد التسلية ، بل معالجة ، قضايا وجود الإنسان غير ناظرة إليه مفتتا كما تفعل العلوم ، بل تتناوله كلا متكاملا ، الإنسان في الرواية ليس بطاقة ، أو رقما ، أو ملفا ، أو رسما بيانيا ، أو نبتا منتزعا من جذوره ، بل كائن ينبض بالحياة ، مندس في نسيج معقد ، من علاقات متبادلة تجمع بين النقيضين ، فهو فذ ومتشابه متفرد وملتحم ، من خلال تلفيق الرواية ، تصل إلي الصدق " ([٤٥])

ويتضح مما سبق الاهتمام بالإنسان داخل المجتمع ، والتأكيد على ضرورة الاهتمام بالمشاعر والأحاسيس ، والصدق وتقديم المساعدات والحلول المباشرة لمشاكل الإنسان الخارجية والداخلية .

---

[٤٤] - السابق صـ ١٣٨

[٤٥] - السابق صـ١٤٠

الهوامش

[1] - القصة القصيرة دراسات ومختارات – د/ الطاهر مكى
٢- سورة يوسف الآية ٤
٣- النقد الأدبي الحديث – د / محمد غنيمي هلال
٤- الأدب العربي المعاصر . د/ شوقى ضيف
٥- مجلة الرسالة عدد نيسان أبريل ١٩٣٧
٦- تطور الرواية العربية الحديثة د / عبد المحسن طه بدر
٧- الأدب القصصي والمسرحي في مصر د. أحمد هيكل
٨- بانو راما الرواية العربية الحديثة د . سيد حامد النساج
٩- أركان الرواية – ا. م فورستر ترجمة موسي عاصي
١٠- بناء الرواية – دراسة في الرواية المصرية – د . عبد الفتاح عثمان
١١- - دراسات في القصة العربية الحديثة – أصولها – اتجاهاتها – أعلامها – د. محمد زغلول سلام
١٢- - فن القصة – د . محمد يوسف نجم
١٣- القصة في الأدب العربي وبحوث أخري – محمود تيمور
١٤- الأدب الهادف – محمود تيمور
١٥- دراسات في القصة والمسرح – محمود تيمور
١٦ – في الأدب العربي المعاصر – د. إبراهيم عوضين . وانظر كذلك دراسات في القصة العربية الحديثة صـ٥٦ وما بعدها ، والقصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى ١٩٢٠ صـ٧٣ وما بعدها . تطور فن القصة القصيرة في مصر ١٩١٠– ١٩٣٠ صـ٢١ وما بعدها ، والقصة في الأدب العربي – د . متولى البساطي صـ ٧٩ وما بعدها .
١٧– العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر – دراسة نقدية (١٩١٤–١٩٨٦) مراد عبد الرحمن مبروك
١٨– مقدمة إحسان هانم – عيسي عبيد

١٩- النقد الأدبي الحديث أصوله ومناهجه – سيد قطب
٢٠- الديوان في الأدب والنقد – العقاد – المازني
٢١- نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر – د . أحمد إبراهيم الهواري